جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار **السنة الجامعة: 2020 – 2021**

المستوى : ماستر2 السداسي : الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: مصادر الجزائر في العصر الحديث

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس كتاب رحلة في أيالة الجزائر
Voyage dans la régence d'Alger
للدكتور شاو Dr Shaw

كتاب رحلة في أيالة الجزائر
Voyage dans la régence d'Alger
للدكتور شاو Dr Shaw

أولت المؤلفات الغربية اهتماما لتاريخ المغرب العربي، ولتاريخ الجزائر بصفة خاصة في الفترة الحديثة، وهي تشكل كتابات الرحالة والقناصل والاطباء والعلماء، وحتى أسرى الحرب، والتي يمكن اعتبارها إحدى المصادر المهمة المعتمدة لدى مؤرخي المنطقة، ولدينا خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر 1519م- 1830م، كتابات ومؤلفات متنوعة من خلال رحلات سواء كانت محلية أو أجنبية.

وكان لتاريخ الجزائر مكانة مهمة ومتميزة لدى الأوربيين، وذلك لسيطرة الدولة الجزائرية آنذاك على بحر الأبيض المتوسط، مما جعلها قبلة ومحط أنظار العديد من الشخصيات، فتوافد عليها الرحالة الأجانب، ومن خلال ما تركوا من تسجيلات ومذكرات وانطباعات وآراء وحقائق تاريخية عن البلاد في محطات التاريخية، تمكن المؤرخون وعلماء الاجتماع والآثاريون من تسليط الضوء على بعض المعطيات عن الجزائر إبان الحكم العثماني، ومن بين هؤلاء انذكر لطبيب ورجل دين توماس شاو الذي جمع مشاهداته في كتابه الشهير المعروف تحت رحلة في ايالة الجزائر Voyage dans la régence d'Alger، فمادا تناول هدا الكتاب ؟!

نبذة تاريخية عن المؤلف والكتاب:

ولد توماس شاو في 1692م في كندال في وستموريلند في الشمال الشرقي من إنجلترا، وتوفي في هامبشاير في 1751م، يعد رجل دين ورحالة بريطاني، وممثل تجارة من القرن 18، كان يلقب كذلك بالدكتور شاو، على الرغم من أنه ليس بطبيب، ولكن هذه عادة بريطانية لتلقيب رجال الدين الحكماء وأصحاب الدرجات العلمية العالية، بذلك فلقب دكتور يعني حكيم، تعد رحلاته الى شمال افريقيا توثيقا مرجعيا خلال القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ,تزود بالثقافة الكلاسيكية وكان ممثل للكنيسة الانجليزية في 1720م، سافر الي الجزائر وزار العديد من المناطق في أيالة الجزائر في طيلة فترته ما بين سنتي 1720م -1732م التي قظاها في المنطقة من تدوين ملاحظاته حول المجتمع وعلاقاته وجغرافية المنطقة وطبيعتها وفهرسة لأنواع الحيوانات والنباتات في المغرب.

طبع الكتاب في طبعات عديدة إلى اللغة الفرنسية، فأما الطبعة الأولى، فهي ذات الطباعة الحجرية سنه 1743م، حيث توجد منها نسخة بمكتبة أرشيف قسنطينة، ,وهي مزودة بملاحظات هامشية للمؤلف، وكذا بعض الخرائط التقريبية، وأما الطبعة الثانية فكانت سنة 1753م، وتحتوي على بطاقات ولوحات من الحيوانات والنباتات، وأما الطبعة الثالثة فكانت سنة 1830م، لكنها اختفتت منها ملاحظات الدكتور شاو، كما أن المترجم وقع في التباس لتحديد الأماكن ووضع المسافات.

محتوى الكتاب:

يحتوي الكتاب على مقدمة وعشرة فصول.

الفصل الأول :ديموغرافيا الوصاية على الجزائر من ناحية ترتيبها ومناخها وإنتاجها .

الفصل الثاني :الحيوانات (الطيور، الحشرات، الأسماك.. إلخ}

الفصل الثالث :العلوم، الفنون، التصنيع، العادات، التقاليد، الإستخدامات، الأخلاق، الملابس.

الفصل الرابع :حكومة الجزائر (الداي الآغا) ونشاط الميليشيات .

الفصل الخامس :ميليشيات الجزائر من ناحية القوة والتركيبة والتوازن والرتبة وطريقة القتال ...إلخ .

الفصل السادس :وصف مقاطعة تلمسان ومعسكر .

الفصل السابع :وصف مقاطعة الجزائر .

الفصل الثامن:

وصف مقاطعة التيطري.

قاطعة قسنطينة أبرز الحدود.

الفصل العاشر :وصف مقاطعة الزاب.

ثانيا: الدراسة الباطنية

ملخص الكتاب:

ابتدأ المؤلف الفصل الأول من كتابه بالحديث عن ديموغرافيا الوصاية على الجزائر من ناحية ترتيبها ومناخها وإنتاجها، والذي خصص له صفحات تحدث فيها عن الجزائر وانتاجها مثل الرصاص والذهب والفضة والحديد، فهي المعادن الوحيدة التي تم اكتشافها، كما أن هناك أحجار ثقيلة جدا وغالية، تعرف هذه الثروات على أنها مصادر باطنية وسطحية في مكان ما،

وتظهر نتيجة للعوامل الطبيعية، وتعد الجزائر من الدول الغنية بالثروات، فللجزائر حظ وافر في الثروات المعدنية، حيث يزخر باطنها بمواد مهمة، ثم انتقل شاو للحديث عن تونس فوصفها وتكلم عن خطط التخلص منها، كما تطرق الى المناخ السائد في المنطقة، الذي تتحكم به الظروف الناشئة عن تدخل الموقع وتوزيع اليابسة على الماء والتضاريس، كما أن بها أنهار رئيسية، فأغلب سكان الجزائر يعيشون على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط.

أما الفضل الثاني فتناول المؤلف الحيوانات التي ضمت العصافير والطيور والحشرات والأسماك .إلخ، فتعتبر هذه الحيوانات عبارة عن ثروة رئيسية بالنسبة للعرب، فتحدث الكاتب عن عدد القطعان، ووصف هنا مختلف الحيوانات الموجودة في البلد ومنها: القرود والأحصنة والحمير والأبقار، إلى جانب الحمام البري، فالحمير لم تستخدم بشكل كبير على عكس تونس التي كان استخدامها عام، وكذلك الجمال الموصوف بالعمل والجهد لمدة تصل إلى أربعة أيام وما أكتر، فتعتبر هذه الحيوانات حيوانات براري، فهي أكثر ملاءمة للتعب والمشاق، إلى جانب أنها لا تتطلب سوى نصف الرعاية.

أما الفصل الثالث فيتحدث فيه المؤلف عن العلوم والفنون والمصنوعات، والأخلاق، الاستخدامات والعادات، والملابس، الخ منذ عدة قرون انفرد "المسلمين" بإهمال الفنون والعلوم، في عصر بالرغم من أنهم كانوا تقريبا الشعب الوحيد الذي طبق بنجاح في دراسة الفلسفة والرياضيات والطب، كان الموريون والأتراك أرسلوا أطفالهم الذكور إلى المدرسة في حوالي سن ست سنوات. هناك يتعلمون القراءة والكتابة. ولم يستخدموا ورقة للكتابة، ولكن لوحة صغيرة، عندما يكون الطفل قد لوحظ بالكفاءة الخاصة والتقدم الغير عادي في دراسته، يقوم أهله بإلباسه بشكل جميل، ويجعلونه يمتطي حصانا مسرج ثم يقوم رفاقه بقيادته في الشوارع ويحتفلون بفوزه مع الهتافات، وبعد أن يقضى الطفل ثلاثة أو أربعة سنوات في المدرسة، ويتم تعليمه مهنة، أو ينضم إلى التجنيد.

كانوا يعتبرون من الشعوب الذين اهتمت بدراسة العلوم والآداب والفلسفة والرياضيات والطب منهم (ابن رشد)، كما أن الكيمياء أفضل علم لهذا الشعوب، كما أنهم اشتهروا باستخدام الحمّامات، التي يوظفونها في جميع أنواع الأمراض، دون تمييز العمر أو المزاج. كما أنهم كانوا يستخدمون الأوراق والأعشاب الطبية للعلاج مختلف الأمراض ومعظمها، كما أنهم اهتموا بالموسيقى ومهارتها.

أما الفصل الرابع الذي كان تحت عنوان ضم حكومة الجزائر (الداي الأغا) ونشاط الميليشيات، كان شعبهم ينامون أمام المحلات التجارية، إما على الرصيف أو على الحصير هذه المحلات تحت إشرافهم الخاص، كان الشعب يعيش اضطرابات في بداية القرن 17م.

بعد هذا يأتي الفصل الخامس تناول في الكاتب الميليشيات الجزائر من ناحية القوى والتركيبية والتوازن والرتبة ومضموناته وطريقة القتال وبعض الملاحظات المختلفة، كانت القوات العسكرية في الجزائر مختلفة من بينهم الأتراك حوالي 1600 والباقي يتكون من البدو وكل الأتراك الذين يصلون إلى الجزائر هم من ضمن ميليشيات وهناك من يأتون من بلاد الشام الذين اضطروا إلى الفرار هربا بسبب ارتكابهم لجرائم، يدعم سكانهم بعضهم البعض سواء كانوا على حق أو باطل.

بعدها الفصل السادس: موضوع المؤلف كان حول وصف مقاطعة (مقاطعة تلمسان)، فيحدها من الشمال بايليك معسكر والبحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق دار السلطان، الجزائر العاصمة، وبايليك التيطري، ومن الغرب يحدها إمبراطورية المغرب.

أما الفصل السابع فتحدث لكاتب عن وصف محافظة الجزائر يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط بها سهول واسعة وسلسلة جبال شديدة الانحدار، وفي الشمال الشرقي على بعد مسافة قصيرة، كما يوجد بها عدد قليل من المنازل، كما اشتهروا بتجارة القمح.

فعن سكان القبائل فيذكر أنهم يسكنون المداشر التي تتشكل من مجموعة من البيوت، كل بيت يحمل اسم قربي. والذي يبنى في العادة من مادة الطين والحجارة التي تجلب من المناطق الأثرية المجاورة أو من الأتربة التي تعجن على شكل اللن بعد خلطها بالتبن والحشائش وتغطى بأغصان الأشجار ويجفف تحت الشمس، ولا يوجد في القربي أكثر من غرفة ومطبخ وغرفة نوم، ويوجد أيضا مكان للأمهار والأحصنة، ويترك أهل القبائل السهول للزراعة، وسكان الجبال يعانون من صعوبة الطبيعة القاسية، ولكن حياتهم الاستقلالية غير مضطربة .

اما فيما يخص الفصل الثامن فقد تناول المؤلف وصف محافظة التيطري، وقد حدد هذه المنطقة من شمال الجزائر إلى الشرق من منطقة الزاب إلى الجنوب، حيث تتضمن العديد من القرى بما في ذلك السكان، فقد أشار هناك الى نقطة المياه الجارية وأنه يعتبر المنطقة محافظة

"عش العرب"، وذكر أن السكان الأصلين كانوا يعملون منذ زمن في محلات الجزارة في العاصمة، وكان لا يسمح لهم بدخول المساجد لأنهم من طائفة المالكية.

بعد ذلك الفصل التاسع الذي كان تحت عنوان وصف مقاطعة قسنطينة (بايليك الشرق)، فتحدث عن رسم حدود هذا البايليك، وأنها مقاطعة جبلية معزولة عن التلال والسهول وهي أقل من منطقة زاب وقد ذكر الأنهار، وتحدث عن المدينة القديمة، كما أنه تطرق إلى ووفرة المياه في تلك المنطقة على عكس السكان المحليين، وقد وصف بعض المناطق بها، كما تحدث على وجود حاميات خاصة بالأتراك العتمانية.

وجاء الفصل العاشر والأخير بعنوان مقاطعة الزاب، حيث رسم المؤلف محافظة الزاب، وقد ذكر أنها واسعة، ولها سطحها جبلي في كل المقاطعة، وهي منطقة صالحة لزراعة، وقد تحدت عن القرى التي تليها في الصحراء.

ملاحظات:

لقد وفق المؤلف في تناوله للموضوعات الى حد كبير، وإلى اعتماده على المشاهدة والمعاينة الميدانية المباشرة. كما أن المؤلف لم يكن له عداوة مع السكان الجزائريين على رغم من القساوة الممارسة اتجاه الأسرى المسيحين، وأن المؤلف في رحلته لم يعتمد على جملة من المصادر والوثائق، وأنه لم يسلط على أعماله تغييرات، إلا فيما يخص ترسيم حدود المقاطعات، وفي نهاية كتابة لم يضع استنتاجا أو خاتمة لكتاب.

أهمية الكتاب:

للكتاب أهمية كبيرة بالنسبة للباحث المهتم بتاريخ وآثار المغرب العربي عامة، وتاريخ الجزائر في العهد العثماني بخاصة، بفضل ما يتضمنه من معلومات مهمة.

-رحلة توماس شاو الذي كان متعدد التخصص، فهو في أصله رجل دين مسيحي إنجليزي ورحالة ومستكشف، ولقد سمحت له اقامته في الجزائر خلال مدة 12 سنة من رصد مختلف مظاهر الحياة في الأيالة، فرسم جغرافيتها وعلاقاتها ومجتمعها ...، وكان لشرقها نصيبا أوفر في ملاحظاته بحكم المساحة الجغرافية والبنية الاجتماعية والتعدد القبلي، وحاول شاو أن يبين الاستغلال للأقاليم ماديا من خلال الضرائب المتزايدة وتجهيل المجتمع الذي يمارس حياته بطريقة بسيطة وحتى ساذجة أحيانا.

المراجع:

Docteur Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trd : J.Mac Carthy

عبد الحميد عمران، "قبائل شرق الجزائري: قراءة في بعض العادات والذهنيات حسب الدكتور توماس شو (Shaw THOMAS (من خلال كتابه رحلة في أيالة الجزائر"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج:1، ع:5، ديسمبر 2017.

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/125048

بطاقة قراءة ودراسة كتاب باللغة الأجنبية رحلة في أيالة الجزائر، توماس شاو،

https://tarikh5.blogspot.com/2020/07/thomas-shaw-voyage-dans-la-regence.html